الفصل الثاني

النقد العربي القديم

لا شك في أن العرب في جاهليتهم قد بلغوا مرحلةً راقية في الأداء اللُّغوي ، تشهد لهم بالفصاحة حتى أصبح ذلك خاصةً تُطْلَق عليهم ، وحتى أصبحت هذه الفصاحةُ مجالا للتفاخُر فيما بينهم . وكان مظهرُ التفوُّق القولي متمثلا بصورة بارزة في الشعر باعتباره ذروة الإبداع الفني ؛ ولهذا احتلَّ الشعراءُ مكانة لا تدانيها مكانة أخرى ؛ بل وصل الأمر إلى أن القبائل كانت تعرف بشاعرها لا أن يعرف الشاعر بقبيلته . وكان ظهورُ شاعر في قبيلة حدثًا اجتماعيا له أهميته الخاصة ، « وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساءُ يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ؛ لأنه حمايةٌ لأعراضهم ، وذَبٌّ عن أحسابهم ، وتخليدٌ لمآثرهم ، وإشادةٌ بذِكْرِهم . وكان لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر يَنبغ ، أو فرس تُنتج . »[1]

ولا شك في أن شهادةَ القرآن بتفوق الجاهليين في مجال البيان تمثل أصدق دليل يمكن إيراده في هذا المجال . ويمكن أن نتلمَّسَ هذا التفوُّقَ البيانيَّ فيما خلَّفه الجاهليون من شعر أو نثر ، وبالضرورة فإن هذا التفوق البياني لا بد وأن تصحبه مقدرةٌ فطرية على التذوق الجمالي ، يمكن رؤيتها في كثير من

(١) ابن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ونقده . القاهرة ، مطبعة هندية ، ١٩٢٥ . ج ١ ، ص ٣٧ .